



سوتشي، في الاسم، تدرج من مؤتمر الشعوب السورية إلى مؤتمر حميميم، وأخيراً الرسو على تسمية "مؤتمر سوتشي للحوار الوطني". ارتباك وسوء تقدير وصل في مقاربة كارثة قارب امتدادها سبعة أعوام .

في الدعوة والمدعون إلى "سوتشي"، رفض من يريد مناقشة رأس المنظومة التي تسببت بالكارثة، والقبول ببعضوية ألف وبسبعمائة من كل مكونات وأطياف "الشعوب" السورية الحكومية و "المعارضة" .

في الهدف من سوتشي "حل سياسي" مبني على تشكيل لجان لمناقشة الدستور، وأخرى لمناقشة الانتخابات؛ وتغييب أي نقاش لعملية أو محور أو "سلة" الانتقال السياسي التي نصت عليها القرارات الدولية .

في الجهة المنظمة، وزارة الدفاع الروسية، لا الرئاسة، ولا وزارة الخارجية الروسية، ربما للاعتقاد أن وزارة الدفاع التي "أنجزت" عسكرياً يمكنها إكمال المشوار الروسي في سوريا و"جلب السلام" بأدوات الحرب، كما جلت "النصر" للرئيس بوتين على "الإرهاب السوري". وبذا يمكن إعطاء بوتين حقنة قوة جديدة في عيون الروس وعيون العالم "مخالصاً لسوريا من الإرهاب، وحللاً لمشكلات العالم، ومحقاً للمصالح الروسية في الساحات العالمية" .

حتى ولو تم إقرار اسم "مؤتمر الحوار الوطني" لما يُزمع عقده في سوتشي، إلا أن الاسم الأول الذي أطلقه بوتين يعكس موقفه وسياساته ورؤيته لسوريا وللرسوريين. هم بالنسبة له ليسوا إلا كتلاً بشرية تشبه "شعوب الاتحاد السوفييتي" مستلب الإرادة والمستباح، والذي كان يدور في فلك الإمبراطورية السوفيتية. من هنا، علينا تصوّر أي فعل أو قرار أو إرادة لهؤلاء الذين سيوجدون إحضارياً في سوتشي؛ وهل سيكون بإمكانهم طرح أي مسألة مخالفة لما يريد مالك أمرهم. ومن هنا أنت صراحة لافتنتيف، المبعوث الخاص للسيد بوتين؛ عندما قال "من يريد مناقشة مصير الأسد أو عملية انتقال سياسي في سوريا، ليس مرحبًا به في سوتشي". المفارقة في هذه المسألة تتمثل بالاستكانة لإرادة الاحتلال والانسحاق أمامها؛ فهناك من يتوسط ويقبل الأيدي ليكون له حضور في مؤتمر سوتشي؛ وهناك من تشكّله مخابرات النظام الأسدية ليكون حاضراً،

وهناك تجار سياسة ودم وأزمات يستقلون ليكونوا موجودين. والكل يعلم، أو لا يعلم، أن للوجود هناك غاية واحدة، تمثل بشرعنة الاحتلال والاستبداد، بتفلتٍ مطلق من أي قرار أو شرعية دولية. والأدهى أكثر ذلك الحديث الروسي عن "الاستفادة من مخرجات سوتشي في خدمة مسار جنيف"، تماماً كما حدث في "أستانا"، ومسرحيات خفض التصعيد الروسية؛ والتي أعطت خلالها روسيا مئات الوعود بالشؤون الإنسانية: المعتقلين، رفع الحصار، إيصال الإغاثة؛ ولم ينفذ منها شيء .

حتى تكتمل المسرحية الدموية السوتشية، لا يتزدد ممثلو بوتين في بث الأكاذيب من أن الأمم المتحدة تبارك الخطوة الروسية في سوتشي؛ فهذا لافرانتييف، مبعوث بوتين، يطلق تصريحاً في آخر يومي "أستانا" 8 إن المبعوث الدولي الخاص إلى سوريا، ستيفان دي ميستورا، سيحضر سوتشي؛ وليسارع أحد معاونيه لإبلاغ كاتب هذه السطور بأن المبعوث الدولي لم يعبر عن استعداده للحضور أو غير ذلك، كما روى لافرانتييف .

إضافة إلى كل ما سبق، تبقى إحدى أهم عُقدِ عَقْد مؤتمر سوتشي في الذين اعتبرتهم موسكو ضامنين في "أستانا"، حيث كان الإعلان الرسمي عن "سوتشي"، مراهنة على أن الضامن التركي سيؤمن لها حضور الفصائل التي ضمنتها؛ لكنها لم تعبأ بالشروط التي يمكن أن تضعها تركيا مقابل تيسير المطلب الروسي؛ وتحديداً "الفيتاو" الذي تضعه تركيا على إشراك حزب الاتحاد الوطني (الكردي) في سوتشي. وهنا لم يفِ إغراء الشركاء الضامنين إعطاؤهم أفضليّة تقديم قوائم حضور لمؤتمراً، فبدأت عمليات الابتزاز المتبادل، والذي وجد ترجمته في عرقلة اتفاقية خفض التصعيد في إدلب، والدور الإيراني المشبوه الذي لعبته إيران في نسف الاتفاق؛ ليتبين أن المراهنة الروسية في أستانة تكون تلغيمًا لمؤتمر سوتشي ذاته .

رافق القلق والتوتر الروسي تجاه مؤتمرها إرباك عكسته التصريحات الروسية تجاه الموقف الأميركي منه؛ حيث إن روسيا تعرف تماماً أن أي ملمح إيجابي الأميركي تجاه سوتشي، ينجهه؛ إلا أن موسكو كانت تستشعر السلبية الأميركيّة تجاه خطوطها؛ فاستبقتها بتحديد "دور مراقب" لأميركا من باب "التكبر على المتكبر"، حيث إنه لا يُتوقع من أميركا أن تكون مغرومة بتحقيق روسيا أي نجاح، ولو خلبياً؛ إلا إذا كان يخدم أغراضها؛ وهو ليس كذلك .

أوروبا المتمسكة بالقرارات الدولية بخصوص سوريا، والداعمة جهود المبعوث الدولي في جنيف، لن تكون مسؤولة، وهي ترى روسيا تدعس على القرارات الدولية؛ وتتفزف فوقها أو تلتقط عليها .

أخيراً، تبقى عقدة العقد أمام المشروع الروسي موقف ما تسمى المعارضة الرسمية بعد مؤتمر الرياض 2، وبعد وفـد واحد في جنيف 8، وبعد أداء مميـز في تلك الجولة؛ أداء شاهـدـهـ العالمـ، ولـمـ يـمـكـنـ المـبعـوثـ الدـولـيـ إلاـ أنـ يـشـيدـ بـهـ أـمـامـ مجلسـ الأمـنـ والـعـالـمـ. شـكـلتـ هـذـهـ المـعـارـضـةـ عـقـدـةـ لـمـوسـكـوـ الـتـيـ تـفـنـنـتـ بـمـحاـولـاتـ نـسـفـ مـصـدـاقـيـتهاـ،ـ ولاـ تـنـفـكـ عنـ الـقـيـامـ بـذـلـكـ،ـ عـبـرـ وـصـفـهـ أـخـيـراـ بـالـتـعـنـتـ وـالـرـادـيـكـالـيـةـ،ـ وـتـحـدـثـ عـنـ ضـرـورـةـ غـرـبـلـةـ بـعـضـ الـأـشـخـاصـ مـنـهـ آـمـلـةـ بـعـثـرـتـهـاـ.ـ وـلـكـ مـوسـكـوـ،ـ بـغـفـلـةـ أـوـ تـنـافـلـ،ـ تـتـجـاهـ المـدـ الشـعـبـيـ السـوـرـيـ الرـافـضـ لـمـشـرـوعـهـ فـيـ سـوـتـشـيـ،ـ وـالـذـيـ لـاـ يـمـكـنـ لـهـيـةـ التـفاـوضـ أـنـ تـقـفـ عـنـهـ؛ـ فـهـوـ وـحـرـكـتـهـ الدـبـلـومـاسـيـةـ الدـولـيـةـ مـاـ يـمـدـهـ بـالـمـوـقـعـ القـويـ الـذـيـ لـاـ تـسـتـطـعـ مـوسـكـوـ نـسـفـهـ،ـ حتـىـ وـلـوـ عـادـتـ إـلـىـ عـنـفـ غـيرـ مـسـبـوقـ فـيـ الغـوـطةـ وـالـشـمـالـ السـوـرـيـ .ـ

في صيغته الحالية، سوتشي تجمع "مصالحه" مكـبـرـ مـهـيـنـ لـلـسـوـرـيـنـ وـحـقـوقـهـمـ؛ـ يـحـاـولـ القـفـزـ عـلـىـ الـقـرـارـاتـ الدـولـيـةـ؛ـ تحـولـ دونـ نـجـاحـهـ جـمـلـةـ مـنـ التـعـقـيدـاتـ،ـ تـتـقـدـمـهـ مـنـهـجـيـةـ رـوـسـيـاـ العـسـكـرـيـةـ فـيـ مـقـارـبـةـ القـضـيـةـ السـوـرـيـةـ فـيـ إـيـجادـ حلـ سـلـمـيـ لـسـوـرـيـةـ،ـ يـمـكـنـ بـوـتـيـنـ مـنـ القـوـلـ إـنـ أـنـجـزـ سـيـاسـيـاـ،ـ وـهـذـاـ غـيرـ مـمـكـنـ.ـ مـصـيـرـ الـخـطـوـةـ الـرـوـسـيـةـ إـمـاـ التـأـجـيلـ وـالـتـفـكـيرـ بـكـلـ مـاـ سـبـقـ،ـ وـجـعـلـهـ فـعـلـاـ مـسـاـهـمـاـ بـحـلـ سـيـاسـيـ،ـ لـاـ يـشـتـرـطـ دـعـمـ مـنـاقـشـةـ مـصـيـرـ الـأـسـدـ،ـ وـالـانتـقـالـ السـيـاسـيـ،ـ وـتـشـكـيلـ لـجـانـ فـاعـلـةـ لـإنـجازـ ذـلـكـ،ـ أـوـ الـانـعـقـادـ كـذـرـاعـ وـاهـيـةـ،ـ تـدـورـ فـيـ فـرـاغـ بـلـاـ قـيـمـةـ أـوـ تـأـثـيرـ قدـ تـسـاـهـمـ بـتـعـقـيدـ الـأـمـورـ أـمـامـ رـوـسـيـاـ أـكـثـرـ،ـ وـتـحـرـمـهـ مـنـ فـرـصـةـ أـيـ جـنـيـ سـيـاسـيـ؛ـ فـلـاـ يـمـكـنـ لـرـوـسـيـاـ اـدـعـاءـ نـيـلـ الـجـنـيـ الـعـسـكـرـيـ،ـ وـشـرـفـ الـإنـجـازـ السـيـاسـيـ بـالـأـدـوـاتـ ذـاتـهـ .ـ

المصادر:

العربي الجديد